الأسقف خادم الكلمة لرجاء العالم

المطران شليمون وردوني

الراعي الصالح

الأسقف هو عنصر أساسي في بنيان الكنيسة، جسد المسيح السري، وواحد من بين خلفاء الرسل الذين اختارهم الرب، وعضو في كلية الأساقفة التي تكلم عنها المجمع الفاتيكاني الثاني في دساتيره العقائدية وقراراته المجمعية، بخاصّة في الدستور العقائدي عن الكنيسة، وفي قراره حول مَهَمّة الأساقفة الراعوية. إنه خادم الكلمة الخاصة بيسوع المسيح، هذه الكلمة التي يجب ان تصبح أساس حياته الروحية والراعوية. هو الذي يحرس، بالوَحدة مع البابا ومع الأساقفة وديعة الإيمان في تعليمه وتقديسه وإدارته. ومن أهم واجمل الصفات التي لُقّب بها الأسقف عبر الأجيال هي صفة " الراعي الصالح "، أي الخادم الأمين والمحب والمضَحّي والموحِّد للقطيع الذي سلّمه الله إلى عنايته الأبوية بواسطة الكنيسة، وهذا اقتداءً بالمعلم الإلهي الذي قال : " انا الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل حياته من أجل خرافه " (يوحنا 11/10).

الإرشاد الرسولي " رعاة القطيع "

بعد اختتام الجمعية العاشرة لسينودس الأساقفة العام للكنيسة الكاثوليكية أصدر قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بتاريخ 2003/10/16 إرشادًا رسوليًا بعنوان " رعاة القطيع "، لخّص فيه ما قدمه ممثلو مجالس الأساقفة في العالم كله حول الأسقف. هذا الموضوع، الذي هو في غاية الأهمية لحياة الكنيسة، قد جاء كخاتمة لسلسلة من المواضيع المتعلقة بحياة الكنيسة الداخلية والتي درستها سابقًا

السينودســات التسعة السابقة، مثلاً : أعطيكم رعاة، الحياة المكرســة، العائلة...، وهو تنفيذ لخطة المجمع الفاتيكاني الثاني الذي أراد من الكنيســة ان تفحص ذاتها لتجددها، وتنفض الغبار عنها فتخرج بحلة ناصعة، وتضيء أمام العالم الذي يرى أعمالها الصالحة ويمجد أباها الذي في السماوات (متى 16/5).

عيش الشركة

في إثر اجتماعات كثيرة عُقدت في القارات الخمس حول التبشــير الجديد في عالمنا المعاصر، وبعد تأمّلات ومباحثات ودراسات كثيرة، جاء ممثلو الأساقفة إلى روما ليدرسوا معًا وبعمق رسالتهم الخاصة ليكونوا قدوة للمؤمنين، ويعيشوا بدفعة من الروح القدس، الحياة الثالوثية والشركة الكنسية، والمشاركة في الرسالة كعائلة واحدة في أبرشــياتهم مع الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات والمؤمنين بروح الخدمة والأخوّة. أرادوا أن يتبلور العنصر الإلهي في خدمتهم الرســولية، وتتقــيم سلطاتهم الرعوية ويعيشــوا بمقتضاها في العمل الجماعي وحمل المســؤولية معًا بأخوّة شاملة داخل الأبرشية وخارجها من خلال شركة كلّية الأساقفة.

الرجاء المؤسس في المسيح

إحدى الواجبات الأساسية لكل أسقف، يقول الإرشاد، هي التبشير بالرجاء، بدءًا من الكرازة بإنجيل ربنا يسوع المســيح، هذا الرجاء الذي لا يتعلق فقط بالأمور الزمنية ولكنه خاصة " الرجاء الآخروي – الاسكاتولوجي " الذي ينتظر كنوز مجد الله (أفسس 18/1). والذي يفوق كل ما يمكن ان يخطر على قلب بشر (1 كور 9/2). ولا يمكــن ان تقارن به آلام الزمن الحاضر (روم 18/8). إنّ ما يجب أن يطبــع (يميز) رسالة الأسقف الرعوية هو قوة الإيمان والرجاء والمحبة.

يقول قداسة البابا إنّ على الأسقف ان يكون نبيًا وشــاهدًا وخادمًا للرجاء، إذ عليه يقع واجب زرع الثقة ونشرها، وإعلان أسباب الرجاء المســيحي أمام الملأ

(1 بطرس 15/3). هذه الشـــهادة يقدمها بخاصّة هناك، حيث تعمل العلمنة بشدة لنشر حضارة الوجودية والإلحاد التي تهمّش كل انفتاح نحو فائق الطبيعة.

الأسقف يمكنه ان يحافظ على هذا الرجاء فقط بقوة النور المستمد من الإنجيل (روم 4/15)، وبهذا يغذّي أيضًا رجاء جميع الموكولين إلى اهتمامه كراعٍ. عليه ان يقتدي بالعذراء مريم، أُم الرجاء الصالح، التي آمنت باكتمال ما قيل لها من الرب (لوقا 45/1). على الأســقف ان يكون كالحارس الأميــن اليقظ، وكالنبي الشــجاع، والشاهد الموثوق به، والخادم الصالح للمسيح " رجاء المجد الأبدي " (كول 27/1) والذي بقوته (بقوة المســيح) " ... ســوف لا يبقى مــوت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع... " (رؤيا 4/21).

الرجاء عطف إحياط كل رجاء

ان انعقاد هذا الســينودس كان في ظروف صعبة ويائســة جدًا للبشريــة بسبب العنف المتزايد وانتشار حضارة اللاخلقيــة وتفكك العائلة وزرع الاقتتال والظلم بين الشعوب والاثنيّات وانتهاك حقوق الإنسان وتعالي القوة الغاشــمة على الضعفاء...، وتفشّي الأوبئة والأمراض المستعصية وانتشار كل انواع الشــر ضد الإنســان منذ طفولته حتى مماته، وعدم المبالاة الدينيــة والتراجع في الإيمان... اما الســينودس فأراد أن يقدم الرجاء لهذا العالــم المذكوب، ويضع الأســاقفة في المقدمــة ليرفعوا صوتهم عاليًا ضد اليــأس والكآبة المزروعة بين البشــر، ويصرخوا بالرجاء الذي يعيشون فيه يوميًا بقوة المسيح المنتصر والقائم، والذي يعطي الرجاء لكل إنسان آتٍ إلى العالم. هذا الرجاء الراسخ يجب ان يعطيه الأساقفة للمؤمنين، لأن الله اختارهم ليستمروا في نشر ملكوته لتحقيق رسالته الخلاصية المبنية على الثقة والرجاء.

الروح القدس يقود الأساقفة نحو الرجاء

الجماعة السينودســية رفعت صوتها عاليًا، وصلّت بحرارة وأدانت كل أنــواع

العنف والشر المتجذّرة بعمق في الخطيئة، ودعت الأساقفة بأن يعملوا بكل قواهم لكي ينتصر الخير والرجاء في العالم، وحثّتهم ليسمعوا صوت الروح القدس وينصتوا إلى همساته الداخلية لكي - بقوته المعزية - يُبنى الرجاء. هو (الروح القدس) القائد الحكيم الذي بواسطة مشوراته ومواهبه المنوّرة يسير الجميع، وفي المقدمة الأساقفة، نحو ميناء الخلاص.

هذا النور الإلهي يلهم الأساقفة ليثبّتوا مؤمنيهم حتى النهاية في الرجاء المسيحي. يعملون، بلا كلل ولا ملل، وكلهم ثقة بمراحم الرب الذي يحب الإنسان ولا يتركه، لا بل يُقدّم له طرقاً عديدة ومختلفة للخلاص، هذه الطرق التي يكتشفها الراعي الصالح - الأسقف - لكي يخلّص بواسطتها كل المؤمنين، وهي دواء ناجع يستفيد منه العالم بأسره.

الأسقف يملأ قلبه من رجاء يسوع المخلص، ويرافق أبناءه في الإيمان وينحني

نحوهم ليداوي جروحهم، ويحمل معهم صُلبانهم ويتحمل معهم آلامهم وصعوباتهم التي يلاقونها خلال حياتهم اليومية، ويساعدهم لقلع جذور الخطيئة، ويعمل لزرع النعمة في قلوبهم. إنه بالروح الواحد أب وأخ وصديق لكل واحد منهم. يصوّر أمامهم المسيح الذي اكمل مواعيد الآب كلّها، ومن خلاله (المسيح) سوف تتحقق كل ترقّبات الخليقة.

الأساقفة خدام الإنجيل لأجل رجاء العالم

يستند البابا في إرشاده هذا إلى كل المداخلات التي قام بها الأساقفة في هذا اللقاء، وهي آراء أساقفتهم في سينودساتهم المحلية. كما يستعين بكل الوثائق التي صدرت من المجمع الفاتيكاني الثاني إلى يومنا هذا بخصوص الأساقفة ورسالتهم في الكنيسة. فيوجّه كلامه إلى كل الأساقفة بالكلمات التي قالها يسوع لمار بطرس : " سِر – تقدم – إلى العمق " (لوقا 4/5)، وهي الكلمات التي أخذها قداسته كقائد له وسار منذ بدء حبريته متكل عليها، وكأنها موجّهة إليه من الرب، وهي تدل على القوة والثبات والإيمان والرجاء.

هكذا يقول البابا : علينا أن نقرأ ثانية ونفهم السلطات الثلاث الموكولة إلى الأساقفة من الكنيسة وهي : سلطة التعليم والتقديس والإدارة على ضوء دعوة الرب الملحّة لهم.

سِر – تقدم – في التعليم ! نقول مع الرسول : " أن تبشّر بكلام الله، وتلحّ في إعلانه بوقته أو بغير وقته، وان توبّخ، وتنذر، وتعظ، صابرًا كل الصبر في التعليم " (2طيم 2/4).

سِر – تقدم – في التقديس ! إن الشباك التي نحن مدعوون بان نلقيها بين البشر هي قبل كل شيء الأسرار، والأساقفة هم موزّعوها الرئيسيون ومنظموها والمحافظون عليها ومشجّعوها. إنها شباك مُخلّصة ومحرِّرة من الشر، وتقود إلى

الحياة الأبدية.

سر – تقدم – في الإدارة ! الأساقفة هم رعاة وآباء حقيقيون، يساعدهم الكهنة والمعاونون الآخرون. إن واجبهم هو ان يجمعوا المؤمنين كعائلة واحدة، وأن يحرّكوا فيها المحبة والشركة الأخوية : أن يحبوا الجميع ويبادروا بالمحبة، ويتحدوا مع كل واحد في الأبرشية، وأن يحبّوا الأعداء أيضًا، ويكونوا مستعدين للتضحية بالحياة من أجل الجميع.

على الأساقفة ان يجددوا اعترافهم بالإيمان مع التلاميذ الأوائل بكل ثقة، ويقولوا مع مار بطرس : " على كلمتك يا رب ألقي الشِباك " (لوقا 5/5). على كلمتك ايها المسيح نريد ان نخدم الإنجيل لأجل رجاء العالم.

نحن نعرف، يقول البابا، بأن العالم في حاجة إلى " الرجاء الذي لا يخيب " (روم 5/5). وهذا الرجاء هو المسيح. إننا نعرف ذلك ولهذا نكرز بالرجاء الذي يتدفق من الصليب.

أخيرًا نختم مع قداسة البابا بكلمات القديس أوغسطينوس : " كيفما كنا، لا تضعوا رجاءكم فينا : إذا كنا صالحين، فنحن خدام ؛ إذا كنا اشرارًا، فنحن خدام. ولكن إذا كنا خدامًا صالحين وأمينين، فحينئذٍ نحن خدام بالحقيقة " (القديس اوغسطينوس، الموعظة 340). " خدام الإنجيل لرجاء العالم ".